أدب المرأة في العصر العباسي

د. ياسمينه محمد محمود عمر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن المجتمع العربي قبل الإسلام لم يخلُ من ظهور نساء كن مثالاً للخير، والفضيلة، والشجاعة، والعلم، والذكاء. وقدم لنا القرآن الكريم صوراً مشرفة عن نساء كان لهن الريادة في قيادة مجتمعاتهن نحو الحرية والسلام، وفي القرآن ذكر لقصة سبأ وملكتها بلقيس، وآسية امرأة فرعون، وابنتا شعيب، ومريم ابنة عمران....

فلما جاء الإسلام رفع من منزلة المرأة، ودفع عنها اللعنة التي ألصقتها بها المعتقدات السابقة في أنها أغوت آدم فأخرج من الجنة فجعلهما مشتركين في الذنب، ونهي عن التشاؤم والحزن لولادتها، وحَرّم وأدها، وأرسي مبدأ العدالة والمساواة بين الرجل والمرأة، وبين الحرة والجارية. وحرر المرأة من ربقة الجهل والتخلف فارتقت في ثقافتها ومعرفتها؛ فأثر عنها ما يغير الصورة المتعارف عليها عند العرب فإذا هي تقول الشعر في الأغراض المختلفة، فتمدح، وتهجوا، وتتصوف، وتتغزل، وتهجو...

ولم تقتصر على قول الشعر فحسب بل خاضت لجج النثر، فكان لها مراسلات، وتوقيعات، ووصايا، ونصائح توضح قدرتها العقلية، وتدل على نشاطها الفكري، فهي ذات دور جليل، وبيان عربي أصيل كل ذلك كان جديراً للبحث

والدراسة؛ ومن ثم اخترت هذا الموضوع ليكون مجالاً وموضوعاً في هذا البحث المتواضع ليكون لبنة في صرح البناء الأدبي والفكري.

وقد شاءت عناية الله أن يكون هذا البحث في بابين كبيرين وفي كل باب فصلان على النحو التالي:

الباب الأول:

(نساء أديبات)

ويندرج تحته فصلان:

1- الفصل الأول: الحرائر

2- الفصل الثاني: القيان (الجواري)

الباب الثاني:

"الملامح الفنية لأدب المرأة في العصر العباسي"

ويندرج تحته فصلان:

(1) "أدب المرأة الشاعرة"

(2) "أدب المرأة الناثرة"

ثم جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

الباب الأول

(نساء أديبات)

تمهيد:

إذا كان حديثنا حول أدب المرأة في العصر العباسي فلابد أن نفصل بين المرأة الحرة، والمرأة الأمة (القينة) فلكل منهما ما يميزها، فالمرأة الحرة قبل الإسلام محترمة محصنة، أما الأمة فهي أقل قدراً، وولدها هجين سواء أكانت عربية أم غير عربية، وإن اختلفت هذه النظرة في العصر العباسي حيث وردت روايات كثيرة عن جوارٍ كان لهن الكلمة النافذة، والمؤثرة على أغلب الخلفاء.

وسوف نتناول بالبحث التعريف بأشهر الشاعرات الأدبيات في العصر العباسي من خلال تقسيمهن إلى حرائر وقيان (جواري)

الحرائر

(1) عليه بنت المهدي 160-210 هـ
(2) الفارعة بن طريف ....-200هـ تقريبا
(3) ولادة المهزمية ....-200هـ تقريبا

الجواري القيان

(1) عنان جارية الناطقي .....-220هـ تقريبا
(2) فضل .....- 260هـ تقريبا
(3) عريب .....- 181-277هـ
(4) سكن .....- 335هـ تقريبا

الفصل الأول

الحرائر

علية بنت المهدي:

هي أشهر الشاعرات العباسيات على الإطلاق، كانت أميرة عباسية كان أبوها خليفة وهو المهدي بن المنصور، وثلاث أخوة لها كانوا خلفاء أحدهم أشهر خلفاء بني العباس على الإطلاق وهو هارون الرشيد، والأخوان هما موسي الهادي وإبراهيم بن المهدي، وهذا الأخير ولي الخلافة في بغداد لبعض الوقت حين خلع المأمون، وكذلك شهدت ابنين من أبناء أخيها جلسا على عرش بني العباس هما الأمين والمأمون، تلك هي الأميرة العباسية علية بنت المهدي أخت الرشيد والهادي وإبراهيم من الأب، أما أمها فكانت جارية مغنية اسمها مكنونة، اشتراها المهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم فولدت له عليه التي تعرف أحياناً باسم العباسية.

لم تكن "عَلِيَّة" شاعرة وحسب وإنما كانت تجيد العزف وتحسن الغناء، وكان الرشيد يذهب إليها لكي يطرب بالاستماع إليها تغني شعراً في مديحه من إنشائها وغنائها، وكذلك كان يستمع إليها أبنا أخيها الأمين ثم المأمون. أما أخوها إبراهيم فكان مثلها شاعراً عازفاً مغنياً، وكان يأخذ عنها الألحان ويرددها حتى إن الأصبهاني يردد خبراً مفاده أنه ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته "عَلِيّة"[1].

وعلى الرغم مما ذاع عن "عَلِيّة" من مغامرات في الحب مع غلاميها "رشأ" و "طل" وما ذاع من قصائد التشبس بهما، فإن الأصبهاني ينسب إلى أحد المقربين من بني العباس قوله أنها كانت حسنة الدين لا تغني ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ولا تلذ بشيء غير قول الشعر، وينسب إليها كلاماً جميل المعاني مثل قولها: ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلل منه عوضاً، فبأي شيء يحتج عاصية والمنتهك

لحرماته؟ أو قولها عن نفسها: "لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط، ولا أقول الشعر إلا عبثاً".

على كل حالٍ كانت تشرب وتغني وتعبث وتتغزل، ولقد سبق لعمر بن أبي ربيعة أن قال كلاماً سبها بهذا فنرجوا أن يكون كلامها صادقاً، والله أعلم بالسرائر.

على أن الأمر الذي لا شك فيه أن "عَلِيّة" كانت شاعرة رقيقة وكانت ذَكِيَّة واسعة الثقافة الشيء الذي يبدو جلياً في شعرها ما كان منه في الغزل أو في أغراض أخرى على قلتها.

وأكثر ما قالت عليه من شعر قالته في الغزل والحب أتت فيه بأفكار شتى وطلعت على الناس منه بصور عديدة فيها حيلة ورقة ولطف وفكاهة، ويبدو أنها كانت نفسها فكهة مرحة شأنها أكثر أصحاب الفنون ولكنها، كانت موجعة في هجائها مسرفة فيه، فقد هجت جارية اسمها طفيان لوشاية قامت بها تجاه من تحب فقالت أبياتاً ثلاثة من أبشع ما تهجي به امرأة نذكر منها اثنين فقط:

لطغيان خف مذ ثلاثين حجة جديد فلا يبلي ولا يحترق
وكيف بلا خف هو الدهر كله على قدميها في الهواء معلق[2]

الفارغة بنت طريف:

إذا كانت علية قد نشأت في بيت الملك وتحت سقوف القصور المذهبة فإن الفارعة بنت طريف الشيبانية كانت على العكس من ذلك.

اسمها:

اختلفت المصادر في اسمها الحقيقي فبعضها سمتها ليلي تارة وبعضها سمتها فاطمة تارة أخرى ولكن ما يعنينا أنها شاعرة فارسة أخت الفارسي الخارجي الوليد بن طريف الذي لقب بالشاري، هو اللقب الذي اصطلح عليه الخوارج على تسمية الواحد منهم به وكان الوليد رأساً للخوارج على أيام الرشيد[3] وكان شجاعاً صاحب بأس وصولة جريئاً مقداماً حتى أن سكان ضواحي بغداد لا يأمنون نزوله

إليهم وغارته عليهم[4] وبعث إليه الرشيد قائده يزيد الشيباني الذي واجهة في معركة كانت من أكثر المعارك ضراوة وانتهت بفوز يزيد وقتل الوليد 179هـ

وتعلم الفارعة بمقتل أخيها البطل المغوار فتلبس لباس الحرب وتهاجم جيش يزيد الذي يكشف أمرها فيواجهها ويطاردها ويضرب بسيفه مؤخرة فرسها قائلاً: أغربي لقد فضحت العشيرة يريد عشيرة بني شيبان التي ينتسب إليها كل من اليزيد والوليد وأختهم الفارعة.

ويبلغ التأثر الفارعة مبلغاً لفقد أخيها البطل الشجاع، وكانت شاعرة بليغة مالكة ناصية القصيد، فتقول في رثائه من جزل الشعر ما يجعلها شبيهة بالخنساء في رثاء أخيها صخر، غير أن الفارعة ربما كانت أطول نفساً وأجزل عبارة، فأنشأت قصيدتها الفائية الرائعة في رثاء الوليد واقفة على القبر في المكان الذي صرع فيه قائلة:

بقتل نهاكي رسم قبر كأنه على علمٍ فوق الجبال منيف
تضمن بوداً حاتمياً ونائلاً وسورة ضرغام ورأى خصيف
ألا قاتل الله الجث كيف أضمرت فتى كان للمعروف غير عزوف
فإلا تجبني دمعة هي دونة فقد طال تسليمي وطال وقوفي
وقد علمت أن لا ضعيفاً تضمنت إذا عظم المرزي لا ابن ضعيف

ولهول الفجيعة في أخيها البطل تطلب الفارعة من الدنيا كلها أن تحزن لقتلة، إنه جدير بأن تحزن الدنيا عليه، فهو ثائر على الظلم خارج على الجور متعشق للحرية.

تقدم إلى ساحة المعركة التي قتل فيها بعد أن أبلى أحسن البلاء وهو يقول:

أنا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يصطلي بناري
جوركم أجني من داري

وسوف نتناول في هذا البحث جانباً من رثائها لأخيها

المهزميه:

ولادة المخزمية: البصرية واحدة من الشاعرات الحرائر، وهي قريبة لأبن هفان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي الشاعر المعروف.

لقد روى أبو هفان لولادة شعراً جزلاً فحما فحلا "الأوائل" ورصانة المجيدين، وقوة المتمكنين حتى إن النماذج التي وصلت إلينا من شعرها لم يرق إلى مستواها الفني كثير من الشعراء الكبار.

وقد كانت ولادة الهزمية البصرية تفخر بشمائلها وبمكانتها ويقومها.

وسوف نتناول في هذا البحث جانباً من شعرها في الفخر، وإن كان لم يصل إلينا من شعرها الكثير وذلك راجع إلى سببين:

أولهما: حياء المرأة غير الحضرية، وعدم احتفالها بنشر شعرها

ثانيهما: وجود هذا النوع من الشاعرات بعيدات عن عاصمة الدولة.

الفصل الثاني

الجواري (القيان)

تمهيد:

لم يكن الشعر النسائي مقصوراً على الحرائر وحدهن دون القيان في العصر العباسي.

فقد غص ذلك المجتمع بالكثير من الجواري اللائي سكن القصور، واستولين في كثير من الحالات على قلوب أصحاب القصور أنفسهم؛ وذلك بما تملكه الجارية من لباقة وجمال، ودلال، فكن مدربات على قول الشعر.

فلقد شهد العصر العباسي ازدياداً واضحا في أعداد الجواري في البلاد – لاسيما بعد تأسيس مدينة بغداد – إذ جلبن إليها من مختلف البلدان، فكان منهن الحبشيات، والروميات، والجرجيات، والشركسيات، والعربيات، ومن المدينة والطائف واليمامة ومصر، وأصبح الحديث عنهن يشغل مجالس السلطة الحاكمة – لاسيما الخلفاء – الذين امتلأت كتب التاريخ بمغامراتهم مع الجواري.

وهؤلاء الجواري كُنَّ على نوعين:

(1) جوارٍ للخاصة من الخلفاء يتم وضعهن في منازل خاصة

(2) وجوارٍ للعامة من اللواتي يتم بيعهن في الأسواق العامة

ولذا حرص التجار على تأديبهن وتثقيفهن على صنوف العلم والأدب حتى وصل سعر الواحدة منهن مئات الآلاف من الدنانير.

وعاشت هذه الجواري جارية في العلن حاكمة في الخفاء، وكان لها دور في إتقان الفنون ومنها فن الشعر والنثر.

وسوف نتناول في هذا الفصل بعضا منهن بالتعريف على حياتهن، وجانب من أدبهن شعراً ونثراً

عنان الناطقية:

كانت عنان من أشهر جواري زمانها لفصاحتها وبلاغتها وحدة خاطرها ولانحراف مولاها "الناطقي" الذي كان يجمع لها الشعراء في بيته على موائد الخمر فتتناثر معهم الشعر الجيد والردئ، والعف والبزيء، أو بالأحرى الذي كان أقله جداً وأكثره بزاءة.

المهم أن عناناً هذه قد شغلت مجتمع الأدباء والشعراء في بغداد على عصر الرشيد مثل أبي نواس، دعبل الخزاعي، مروان بن أبي حفصة، والعباس بن الأحنف واليزيد الحميري مؤدب المأمون و أبي النضير شاعر البرامكة..... فضلاً عن الأعراب الذين كانت تلتقي بهم في نادي مولاها لمطارحتها الشعر.

بل لقد كان على رأس هؤلاء جميعاً الخليفة نفسه الذي هَمَّ بشرائها من صاحبها ذات يوم ثم رأي أن يرجع عن قوله، ثم ما لبس أن اشتراها بعد عدة أعوام بعد وفاة مولاها الناطقي ودفع فيها مسرور الخادم في مزايدة على شرائها مائتي وخمسين ألف درهم. لحساب سيده[5].

لقد كانت عنان جديرة بأن تشغل المجتمع بما فيها من ذكاء فطري وموهبة، وطبيعتها الأنثوية من جمال وشباب، وبما فيها من انحراف سلوكي ومجون وخلاعة

كانت عنان تكتب على عصابتها بالذهب "ليس في العشق مشورة" بحيث جعلت من هذا المعني شعاراً لها، وذلك في حد ذاته لون من تحريض الناس ومراودتهم على ما لا يحسن الظن به، ولقد شجعت هذه الجلسة عدد من الشعراء المجان على أن يكاتبوها بشعر كل معانيه مجانة وانحلال مثل ما فعل أبو النضير[6]، الذي مر ذكره قبل قليل، كما شجعت عدد آخر مثل دعبل الخزاعي[7]، وأبي نواس[8] على أن يطرحوا عليها أبياتاً من الشعر ويطلبون منها أن تقطعها في تفعيلات عروضية بحيث ينتج عن تقطيعها ألفاظ نابية فاحشة معيبة فتضحك هي ويضحك الآخرون، وهي بعد ذلك تستطيع أن تجيز أي بيت من الشعر مهما كانت جودته، ومهما كان قائله بشعر إن لم يفقه طرافة معني أو براعة صياغة فإنه لا يقصر دونه، ثم هي بعد ذلك لها من أصالة القول ما يجعلها تقول شعراً فخماً جزلاً تستطيع أن تواجه به فحول من الشعراء من غير ما تردد أو وجل، فلقد فعلت ذلك عندما هجت أبانواس بأبيات موجعة سلكت فيها مذهب بشار نذكر البيت الأول منها نعف عن بقيتها[9]:

مت متى شئت فقد ذكرتك في الشعر وجـــرر أثـــواب ذيلـــك فخـــراً

ولقد فعلت ذلك عندما أفحمت العباس بن الأحنف وقد طارحها يوماً ببعض شعره، وسوف نأتي إلى هذا الحديث بعد قليل، ولقد فعلت ذلك عندما مدحت يحي ابن خالد البرمكي بقصيدة يضاهي نهجها وأسلوبها نهج الفحول وأساليبهم.

قلنا إن "عناناً" كانت بارعة في إجازة أبيات الشعر، والحق إن بعضاً من الشعراء قد نازلوها في هذا الميدان فإذا هي تستولي على مجامع إعجابهم، وأحياناً تصرعهم، يدخل مروان بن أبي حفصة – وهو من تعرف مكانته في قافلة الشعراء العباسين – بيت الناطقي، وقد ضرب جاريته موضوع حديثنا هذا، ويشهد دموعاً تنحدر على صفحة وجهها فلا يلبث أن يقول:

بكـــت عنـــان فجـــرى دمعهـــا كالـــدر قـــد نوبـــع فـــي خبطـــه

وإذا بها ترد عليه في الحال والعبرة في حلقها على حد تعبيره

فليـــت مـــن يضـــربها ظالمـــاً تجـــف يمنـــان علـــى ســـوطه

فيفزع مروان على هذه العارضة القوية ويقول: هي والله أشعر الجن والأنس[10]

ولعل أظرف ما يروى عن براعة عنان في إجازة الشعر أن تغني في مجلس سمر الرشيد أبيات جرير:

إن الـــذين غـــدوا بلبـــك غـــادروا وشـــلاً بعينـــك مـــا يـــزال معينـــاً

ويطرب الرشيد طرباً شديداً ويعجب بالأبيات والغناء، ثم يلتفت إلى جلسائه قائلاً: هل منكم أحد يجيز هذه الأبيات بمثلهن وله هذه البدرة؟ وكان بين يديه بدرة من دنانير، فحاولو فلم يوفقوا إلى شيء من الشعر ذي قيمة، فقال خادم على رأسه: أنا بها لك يا أمير المؤمنين. قال: شأنك. فاحتمل البدرة ثم أتي الناطفي فقال له: إئذن لي على عنان فأذنت له فدخل فأخبر هاب لخبر فقالت ويحك! وما الأبيات؟ فأنشدها إياها. فقالت له: أكتب.

هيجـــت بـــالقول الـــذي قـــد قلتـــه داءاً بقلبـــي مـــا يـــزال كمينـــاً
قـــد اتبعـــت ثمراتـــه فـــي حينهـــا وســـقبن مـــن مـــاء الهـــوى فروينـــا
كـــذب الـــذين تقولـــوا يـــا ســـيدي أن القلـــوب إذا هـــوين هوينـــا

فقالت له دونك الأبيات، فدفع إليها البدرة ورجع إلى هارون. فقال له: ويحك! من قالها؟ قال: عنان، جارية الناطفي.

عريب:

لم تلق قينة من القيان الشاعرات من أشغال أهل زمانها من خلفاء ووزراء وقواد وعمال وخدم ما لقيته عريب هذه الشاعرة المغنية التي جمعت كل أخلاق القيان وصفاتهن كانت جميلة فصيحة شاعرة عذبة الصوت بارعة الضرب ساحرة الإيقاع واستطاعت أن تستأثر بقلوب عدد من الخلفاء العباسيين ابتداءً من الأمين ثم المأمون ثم المعتصم ثم الواثق ثم المتوكل ثم المعتز ولها مع كل واحد من هؤلاء الخلفاء أخبار أكثرها بطبيعة الحال مما لا يلتقي مع الفضيلة في شيء، هذا فضلاً عن أبناء الخلفاء من أمثال أبي عيسي بن الرشيد وجعفر بن المأمون وإن كانت قد فضلت أبا عيسي ابن الرشيد[11] على جميع أخوته وأبنائه وكانوا جميعاً من الخلفاء.

وقد يتساءل المرء: أيتسنى لمثل هذه القينة أن تفتن هذا العدد الكبير من ملوك بني العباس الذين احتل حكمهم حقبة زمنية طويلة؟ والواقع أن الأمر صحيح، ذلك أن عريبا عاشت وتسعين سنة مليئة بالخلاعة والمجون والإباحية المطلقة، تلقي بشباكها على هذا وعلى ذاك من خاصة القوم وعامتهم، وقد تفتن بواحد من العامة فتواصله وفي نفس الوقت تنفر من خليفة أو رئيس.

ويذكر الأصفهاني أن "عريبا" ابنة لجعفر البرمكي من إحدى العاملات في قصور البرامكة، ولدت سنة 181هـ وماتت أمها وهي طفلة فعهد بها جعفر إلى سيدة تتولي شئونها، ولكن ما لبثت النكبة أن حلت بالبرامكة فنهجت قصورهم وبيوتهم وخدمهم وقيانهم وأموالهم، وسرقت عريب الطفلة آنذاك.

وتداولتها أيدي النخاسين حتى اشتراها عبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد[12].

خرج بعرين مولاها واتجه إلى البصرة، وكانت البصرة لا تزال مركز احتكاك الثقافات ومقصد الشعراء المغنين والمتأدبين، فأدبها وخرجها وعلمها الخط والنحو والشعر والغناء، فبرعت في ذلك كله، برعت في الغناء إلى الحد الذي أحصى لها فيه ما يربو على ألف صوت، ونبغت في الكتابة وحكيت بلاغتها لبعض الكتاب فقال معلقاً على ذلك: فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر البرمكي، وكانت هي بدورها حين تذكر الفضل بن يحيي والبرمكي تقول "عمي الفضل"[13]

والحق أن الأخبار التي ترتبط بعريب كلها مما يشين، إذا ما وزنت بمعايير الفضيلة، ويبدو أنها كانت تعيش في شيء من النعمة، وكان الرؤساء يتهافتون عليها، بل كان المأمون يصطحبها معه وهو ذاهب إلى حرب الروم[14]. وعلى أن عريبا رغم كل أخبارها مع الخلفاء والرؤساء فإنه ما من بيت واحد قالته في خليفه أو أميرا، فأكثر شعرها قالته في شخصين أحدهما: صالح المنذرى.

فضل:

كانت "فضل" واحدة من هؤلاء القيان اللائي عرفن بالفصاحة واللباقة وجودة الشعر.

وكانت – حسبما يذكر ابن المعتز – في نهاية الكمال والجمال[15].

وكانت ذات جاه على الكبراء، وصاحبة نفوذ في الحكم، تقضي حوائج الناس وتشفع لهم، وكانت ذات علاقة بالوزير الأديب الشاعر سعيد بن حميد ولكل منهما في الآخر شعر دقيق، ومن الطريف أنها كانت متشيعة لدرجة الغلو، وكان هو ناصبيا – على حسب تعبير القوم آنذاك – ومع ذلك فما أفسد اختلاف مذهبيهما شيئاً من حبهما أو كان سبباً في تعكير العلاقات بينهما.

واشتهرت فضل كما اشتهر غيرها من الشاعرات القيان بحضور البديهة وسرعة الخاطر، وبخاصة في إجازة بين بيت أو معني بمعني، بل إن "فضلاً" كانت ترتجل الشعر على البديهة في نفس اللحظة التي يطلب إليها ذلك، فقد

سألها الملك العباسي المتوكل – ربما في أول لقاء لها معه – أشاعرة أنت؟ قالت: كذا بزعم من باعني واشتراني فقال لها: أنشدينا، فأنشدت على البديهة:

استقبل الملك إمام الهدى عام ثلاث وثلاثينا
خلافة أفضت إلى جعفرٍ وهو ابن سبع بعد عشرينا
إنا لنرجو يا إمام الهدى أن تملك الناس ثمانينا
لاقدس الله أمرأً لم يقل عند دعائي لك آمينا

وقد ارتبط اسم فضل بعد ذلك بالمتوكل أكثر من ارتباطه بسعيد بن حمير فكانت تذكر باسم فضل جارية المتوكل، وكانت تبعث إليه بالكثير من المدائح التي لم تكن تجد لديه صدى وقبولا نظراً لما كان ينشد بين يديه من روائع شعر البحتري وغيره من صفوة شعراء زمانه.

ولفضل أغراض كثيرة قالت فيها شعراً منها:

الرثاء، والأخوانيات وهو أكثر شعرها.

ولم تكن فضل تتحشم في بعض شعرها وبخاصة حين تتناول الحديث عن النساء وأحوالهن، وصفاتهن من عذارى وثيبات ونعني بذلك المساجلة الشعرية التي جرت بينها وبين أبى دلف في قولها:

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم أشهي المطي إلىّ ما لم يركب

وفضل كانت صاحبة موهبة في الشعر، وصاحبة صناعة في النثر حتى إن سعيد بن حميد قال بعد موتها:

"ما رسائلي المدونة عند الناس إلا من إنشائها"(16)

سكن

إذا كانت كل من عنان وعريب وفضل لسن ممن عرفن بحسن السمعة، بل على العكس من ذلك كانت مباذلهن أشهر من أن تصدعنهن ريبة، أو، أو تدرأ عنهن شبهة فليس معني ذلك أن كل الجواري كن يتبعن سبل الغواية أو يجنحن

إلى مزالق الانحراف، فقد وجد من القيان الشاعرات من كان نصيبهن من الجمال وفيرا، وحظهن من الأدب وقرض الشعر كبيراً، وقدرهن في الغناء جليلاً، ومع ذلك فما انحرفن عن الجادة ولا زججن بأنفسهن في مواطن الريب، وممن يصلحن مثالاً لهذا الفريق من الجواري الشاعرات الطاهرات "سكن" جارية الشاعر محمود بن الحسن المشهور بالوراق – فيما يصفها الحسن العلوي لعبد الله ابن المعتز – من أحسن خلق الله وجها، وأكثرهم أدبا، وأطيبهم غناء، فتأتي بالمعاني الجياد، والألفاظ الحسان(17).

لقد حاول بعض الطاهريين أن يشتري "سكن" ويدفع لمحمود الوراق مائتي ألف درهم فامتنع عن بيعها، ولكن كان الوفاء في أحيان كثيرة حين ترى "سكن" مولاها في ضائقة يدفعها إلى أن تعرض على مولاها بيعها أو تسعى هي نفسها إلى ذلك. وقد حاولت سكن أن تفعل نفس الشيء حين دست رسولا إلى المعتصم ليشتريها، ولكن المعتصم خرق رقعتها التي كانت بعثت بها إليه.

فانتهزت سكن الفرصة وبعثت إليه بقصيدة من جيد الشعر تعاتبه في لطف، وتعطيه درسا في الأخلاق الفاضلة وتسدي إليه قدراً من المديح المنسوج بجمع من الألفاظ العذبة الإيقاع والتي تقول في مطلعها:

ما للرسول أتاني منك با لياس أحدثت بعد رجاء جفوة القاسي
فهبْك الحقت بي ذنبا بظلك لي فما دعاك إلى تخريق قرطاسي
يا متبع الظلم ظلما كيف شئت فكن عندي رضاك على العينين والرأس
أني أحبك حبا لا لفاحشةٍ والحب ليس به في الله من باسِ

وتمضي الأيام ويبقي محمود على ما هو فيه من فقر وشدة فيعرض على سكن أن يبيعها حتى يجنبها مرارة الفقر.

قائلاً لها:

"قد ترين يا سكن ما أنا فيه من فساد الحال، وصعوبة الزمان، وليس بي – وجلال الله – ما ألقاه في نفسي، ولكن ما أراه فيك، فإني أحب أن أراك بأنعم حال واخفض عيش فإن آثرت أن أعرضك على البيع فعلتُ.

فقالت الجارية: ذلك إليك

فجاء الناس يتنافسون في شرائها، وكان أحد من بذل فيها الطاهرين بذل مائة ألف درهم.

فأذوت دمعها على خدها وقالت له: هذا كان آخر أمري وأمرك رغبت في واخترت على مائة ألف درهم.

فقال محمود: تجلسين على الفقر

قالت: نعم أصبر

فقال محمود: أشهدكم أنها حرة لوجه الله، وأني قد أصدقتها داري وهي ما أملك، وفاقت عليَّ بخمسين ألف درهم

فقال الطاهري: أما إذ فعلت ما فعلت فالمال لكما

فأخذ محمود المال وعاش مع سكن بأغبط عيش وهكذا جمعت "سكن" بين الشعر والغناء والاستقامة والوفاء

الباب الثاني

الفصل الأول

أولاً: أدب المرأة الشاعرة في العصر العباسي:

تمهيد:

لم تقتصر المرأة الشاعرة في العصر العباسي على موضوعات تخصها وحدها، بل شاركت الرجال الشعراء في الموضوعات المتعارف عليها، كالغزل، والزهد، والرثاء، والمديح، والهجاء.

أ- الغزل:

وهو موضوع شعري يناسب المرأة؛ تنفِّس من خلاله عن مشاعرها الفياضة، وتظهر نفثاتها الحرق إزاء معاناتها من آلام الجوَى، وحرقة الهوى.

وقد تبوأت علية بنت المهدي[18] مكانة لا تُضاهي في عالم الشعر، فقد كانت "لطيفة المعني، رقيقة الشعر، حسنة مجاري الكلام"[19].

وكانت تكتم هواها في فؤادها، ولا تستطيع أن تذكر اسم المحبوب، فهي من أكمل النساء عقلاً، وأحسنهن ديناً، وصيانة، ونزاهة[20]، من أجل ذلك اضطرت إلى الكتمان نتيجة شعورها بالرقابة الاجتماعية، فقالت:

يا ذا الذي أكتم حُبِّيه ولست من خوف أُسمِّيه
لم يدرِ ما بي من هواه ولم يعلم بما قاسيته فيه[21]

ولا تكتفي عليةُ بالتعبير عن حرمانها، بل تزداد تحملاً في هواها، فلا تُوضح بالبكاء ولا تعبر من خلاله عن مشاعرها تجاه الحبيب، مكتفية برؤيته في قلبها الذي أضناه الحب، وكواه حتى الصميم.

تقول:

باح بالوجد قلبك المستهام وجرت في عظامك الاسُقام
يوم لا يملك البكاء أخو الشـ ـوق فيشفي ولا يرد السقام[22]

وهذا ما دفع بالشاعرة للوصول إلى اليأس من وصال الحبيب، فإذا بها تشكو ضارعة، وتعبر عن انقطاع رجائها، وبت أسباب اللقاء، تقول:

أيا ربِّ! حتى متى أضرع وحتام أبكي واسترجع
لقد قطع اليأس حبل الرجا ءِ فما في وصالك لي مطمع[23]

واستطاعت عليةُ أن تعطي صورة – من خلال شعرها – للمرأة في عصرها، وما كانت تعاني من مجتمع يقف بالمرصاد لعواطف المرأة، ويصدها

بعنف عن التعبير عن أحاسيسها، ولما أحست الشاعرة بقسوة واقعها، وتحلل كثير من الرجال، حين أباحوا لأنفسهم ما حرموه على المرأة، إذا بها تقول:

تعـــــالوا ثـــــم نصـــــطلح ونلهـــــو ثـــــم نقتـــــرح
ونجمـــــع فـــــي مـــــذلتنا فـــإن القـــوم قـــد جمحـــوا[24]

إلا أن الواقع الذي كانت المرأة العباسية تحياه؛ لم يسمح لها أن تشاطر الرجل فيما يفعل، فترتد يائسة، قانطة، لا تستطيع حراكاً فيما تفكر فيه، أو تحلم به. تقول:

الشـــوق بـــين جـــوانحي يتـــردد ودمـــوع عينـــي تســـتهل وتنفـــدُ
إنـــي لأطمـــع ثـــم أنهـــض بـــالمنى واليـــأس يجـــذبني إليـــه فأقعـــد[25]

ومن هنا توصلت عليةُ إلى أن الحب مبنيٌ على الظلم، وأن التذلل في رحاب الحب مفتاح يوصل إلى الانشراح، وانكشاف الغم، والخلاص من الشدائد، والمهم في الأمر أن يكون الحب خالصاً صادقاً. تقول:

بُنـــي الحـــب علـــى الجـــور فلـــو أنصـــف المعشـــوق فيـــه لســـميح
لـــيس يستحســـن فـــي حكـــم الهـــوى عاشـــق يحســـن تـــأليف الحجـــج
لا تعـــين مـــن محـــب ذلَّـــة ذلـــة العاشـــق مفتـــاح الفـــرج
وقليـــل الحـــب صـــرفاً خالصـــاً لـــك خيـــرٌ مـــن كثيـــر قـــد مـــزج[26]

ويستبد حب علية لطل ويحجب عنها فترة زمنية تطول بعض الوقت، ربما خشية على حياته من بطش الرشيد، فيدفع الشوق بالأميرة إلى أن تخاطر بالسعي إليه ميزاب، وتحس عليه بالمخاطرة التي أقدمت عليها، وهي مخاطرة لا يقدم عليها العاشقون من الرجال فما بالك إذا كان الذي قام بها ليس مجرد أنثي ولكنها أميرة خطيرة، إنها على كل حال لا تخفي مشاعرها نحو هذه الحادثة وتذكرها في هذين البيتين:

قـــد كـــان مـــا علقتـــه زمنـــاً يـــا طـــل مـــن وجـــد بكـــم يكفـــي

حتـــــى أتيتـــــك زائـــــراً عجـــــلاً أمشـــي علـــى حتـــفٍ إلـــى حتفـــي

ويعلم الرشيد بقصة غرام أخته وفتاها "طل" فينهرها ويأخذ عليها عهداً ألا تكلم "طـلاً" ولا تسميه باسمه، وتستجيب الأميرة لرغبة أخيها الخليفة، ثم تلعب المصادفات الطريفة دوراً فكها حين يمر الرشيد على مقربة من أخته وهي تدرس آيات من سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله تعالي: (فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) وتفطن الأميرة إلى لفظ "طل" التي وردت في الآية وتتذكر أنها أقسمت ألا تنطق هذه الكلمة فتقرأ الآية هكذا: فإن لم يصبها وابلٌ فالذي نهاني عنه أمير المؤمنين، وهنا يدخل الرشيد إليها ويقبل رأسها ويقول لها: قد وهبت لك "طـلاً" ولا أمنعم بعد ذلك من شيء تريدينه.

ولعلية رؤية مقنعة في الحب، ذلك أنه يتصف بالمشقات، والمتاعب، والحرمان، ونحو ذلك، وعلى الرغم من هذه الصعوبات، فإن فيه حلاوة الرسائل التي تجري بين المحبين، وهي التي تهب السعادة لهم، وتثبت الحب بينهما بوشائج قوية لا تنقطع.

تقول داعية إلى التمسك بحبال الحب:

تحبـــب فـــإن الحـــب داعيـــة الحـــب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصـــر فـــإن حـــدثت أن أخـــا هـــوى نجـا سـالماً فـارج النجـاة مـن الحـب
وإذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا فـأين حـلاوات الرسـائل والكتـب[27]

وتترامي خديجة بنت المأمون[28] على أعتاب المحبوب، من خلال صورة جميلة، تجعلها تتمنى أن تصبح حماماً أو باشقاً يفعل به ما يريد. وكان للقافية الشعرية دور مؤكد في إضفاء مسحة جمالية متآلفة. تقول:

بـــــالله قلـــــن لمـــــن ذا الرشـــــا الثقـــل الـــردف الهصـــيم الحشـــا
أظـــرف مـــا كـــان إذا مـــا صـــحا وأملـــح النـــاس إذا مـــا انتشـــي
وقـــد بنـــي بـــرج حمـــام لـــه أرســـل فيـــه طـــائراً مرعشـــا
يـــا ليتنـــي كنـــت حمامـــاً لـــه أو باشـقاً يفعـل بـي مـا يشـا[29]

وعلى عادة القيان العاشقات تحاول "فضل" المرة بعد المرة أن تشكو لوعة الحب وصبابة العشق ومرارة الكتمان فتقول هذه الأبيات:

لا كتمن الذي في القلب من حرق حتى أموتُ لم يعلم به الناس
ولا يقال شكا من كان يعشقه إن الشكاة لمن تهوى هي اليأس
ولا أبوح بشيء كنت أكتمه عند الجلوس إذا ما دارت الكاس

وتعمد فضل في أبيات أخريات لها في مطارحة سعيد بن حمير الهوى إلى ما تعمد إليه القيان العاشقات من أشعار المحب المعجب أنه الأثير الوحيد لديها فتكتب إليه هذا الأبيات الحقيقية السهلة:

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى لأقصرت عن أشياء في الهزل والجد
ولكنني أبدي لهذا مودتي وذاك وأخلوا فيك بالبث والجد
مخافة أن يغرى بنا قول كاشح عدوٍ فيسعى بالوصال إلى البعد

والأمر الذي لا شك فيه أن "فضلاً" كانت تغار على صديقها الوزير الوسيم الشاب سعيد حتى بعد أن هجرته وتعلقت بالمغني بنان بن عمرو الذي ذكره بُلغها أنه عاشق إحدى القيان فكتبت إليه أبياتاً توبخه فيها وتحذره من القيان وتظهره على حقيقة أخلاقهن وخبايا سلوكهن، لأنها من أهل الخبرة في هذا الشأن، إذا هي واحدة منهن وإن فضلتهن حظاً وجمالاً، ورجحتهن ثقافة وبياناً. قالت فضل في أبياتها لسعيد:

يا حسن الوجه سيء الأدب تثبت وأنت الغلام في الأدب
ويحك إن القيان كالشرك الـ منصوب بين الغرور والكذب
لا تتصدين للفقير ولا يتبعن إلا مواضع الذهب

وعنان بعد ذلك الشاعرة قديرة متمكنة إذا عالجت صناعة الشعر أو مارست عمل القصيد، إن العباس بن الأحنف – وهو واحد من الشعراء الكبار –

كان قد تعلق فؤاده، وما كان أكثر ما يتعلق فؤاده بالغواني والقيان، فطارحها ذات يوم شعراً أظهر فيها عشقاً ودلالاً، فأجابته عنان قائلة:

من نـــراه كـــان أغنـــى منـــك عـــن هـــذا الصـــدود
بعـــد وصـــل لـــك مـــن منـــى فيـــه إرغـــام الحســـود
فاتخـــذ للهجـــر إن شـــئت فـــؤادك مـــن حديـــد
مـــا رأينـــاك علـــى مـــا كنـــت تجنبـــي بجليـــد

والحق أن الجارية عنان كانت شاعرة متمكنة، ويكفيها أنها استطاعت أن تصور الحب، والعلاقة الودية مع الرجل؛ في مختلف الأحوال. ولو لم يكن لها سوى هذا البيت لكفي دلالة على مقدرتها الفنية. تقول:

ويبكـــي فـــأبكي رحمـــة لبكائـــه إذا مـا بكـى دمعـاً بكيـت لـه دمـاً[30]

وهذا غاية التماهي العاطفي في ميدان الغزل، حين بدت هذه المرأة قادرة على الإفصاح عن المشاعر، بل الوصول إلى مرتبة رفيعة.

ب- الزهد:

اتسعت حركة الزهد والتصوف في العصر العباسي نتيجة عوامل عدة، وأسهمت المرأة في هذه الحركة، وكان لها دور فاعل للغاية؛ إذ نالت غذاءً روحياً هيأها للتعبير عن موضوع الزهد بتفرعاته وتشعباته.

ويأتي في مقدمة الزاهدات الشاعرات: رابعة العدوية[31]؛ التي استغرقت في الحب الإلهي، وملك عليها ذاتها ومشاعرها، فانطلقت تصدح بأرق الشعر وأعذبه قائلة:

أحبـــك حبـــين: حـــب الهـــوى وحبـــاً لأنـــك أهـــل لـــذاكا
فأمـــا الـــذي هـــو حـــب الهـــوى فشـــغلي بـــذكرك عمـــن ســـواكا
وأمـــا الـــذي أنـــت أهـــل لـــه فكشـــفك للحجـــب حتـــى أراكـــا

فـــلا الحمـــد فـــي ذا وذاك لـــي ولكـن لـك الحمـد فـي ذا وذاكـا[32]

وعبرت عن كون الخالق حبيبها، فكانت تناجيه على الدوام، فهو سبحانه وحده المطلع على فؤادها، ولا يغيب عن خاطرها. تقول:

حبيـــب لـــيس يعدلـــه حبيـــب ومـــا لســـواه فـــي قلبـــي نصـــيب
حبيـب غـاب عـن بصـري وشخصـي ولكـن عـن فـؤادي مـا يغيـب[33]

ويبقـي فؤادهـا معلقـاً بحـب الله، وإن عاشـتْ حياتهـا الواقعيـة، وجالسـت الناس، فهي معهم بجسدها وشكلها الخارجي، أما قلبها فهو متصل بالذات الإلهية. وهذا أساس مذهبها في الزهد، إنه الاستغراق في حب الخالق، ونشدان الاتصال الروحي بالمولي عز وجل، بحيث كانت الإرهاص الأهم لشعر الصوفية فيما بعد.

وإذا كانت عليـةُ بنت المهدي قد وجدت ملاذها في التعبير عن الحب البشري، والاكتواء بناره، فإن رابعة العدوية انقطعت إلى الله زهداً وتصوفاً. وتبقي الحالتان تعبيراً عن هموم المرأة في العصر العباسي؛ الذي حد من نشاط المرأة متمسكاً بذ رائع تنأى عن الإقناع.

ولم تكن رابعة وحدها في ميدان الزهد والتصوف، بل شاركتها أخريات من بنات جنسها، فريحانة الزاهدة ترى أن النفس ينبغي أن تلجم عن مطاردة اللذات، واستجلابها، فهي لا تقنع بحدٍ معين، بل تطلب المزيد على الدوام؛ فإن اعتادت على الحرمان صبرت عليه، وهان كل شيءٍ. تقول:

صـبرت عـن اللـذات حتـى تولـت وألزمـت نفسـي صـبرها فاسـتحرت
ومـا الـنفس إلا حيـث يجعلهـا الفتـى فـإن أُطمعـت تاقـت وإلا تسـلت[34]

وكانت دعوتها صادقة إلى الالتزام بقيام الليل، والتهجد فيه، وذكر الموالى عز وجل، وطرد النوم لأنه ملهاةٌ وخسران مبين.

تقول:

اجعل لنفسك في الليالي نبهة تنبهك من خلل المنام قياما
وائنس إلى طول القيام مخلداً واترك لذيذ النوم والأحلاما[35]

وتحدثت ميمونة عن مكاشفة القلوب، وأشارت إلى الخمر التي كان المتصوفون يرمزون من خلالها إلى كأس الحب الإلهي. تقول:

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرونا
وألسنة بسر قد تناجي تغيب عن الكرام الكاتبينا
وأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمينا
فتسقيها تراب الصدق صدقاً وتشرب من كؤوس العارفينا[36]

ودعت شاعرات الزهد إلى التخلي عن الدنيا، والتحلي بالصالحات، فالدنيا تغر ساكنها، وكل شيءٍ فيها يحمل النقيض؛ لذا يجب البعد عنها مهما بدت جميلة. تقول ست النساء بنت طولون:

دع الدنيا لعاشقها سيصبح من ذبائحها
أرى الدنيا وإن مدحت تنص على فضائحها
فلا تغررك رائحة تصيبك من روائحها[37]

ويحمل شعر الزهد الرقة في العبارة، والسهولة في التركيب، واستخدام العلوم الدينية، في بساطة تعبيرية تحدد خصائص المرأة، بعيداً عن الأغراب والغموض.

جـ- الرثاء

ليس أغلى على قلب الأم من ولدها، فإذا اخترمته المنية اكتوى فؤادها، ومضت تبكي فقيدها بعاطفة صادقة، وحزن يتجدد كل آن. وهاهي زبيدة بنت جعفر الهاشمية، أم الخليفة الأمين العباسي. حين قتل وثته بأبيات جياشة بالأحاسيس الإنسانية، قالت:

أودي بالفـك مـن لـم يتـرك النـاس فـامنح فـؤادك عـن مقتولـك اليأسـا
لمـا رأيـت المنايـا قـد قصـدن لـه أصـبن منـه سـواء القلـب والرسـا
والمـوت دانٍ لـه والهـم قارنـه حتـى سـقاه الـذي أودي بـه الكاسـا
رزئتـه حـين باهيـت الرجـال بـه وقـد بنيـت بـه للـدهر أساسـاً[38]

ولعل أروع شعرٍ في الرثاء نقف عليه في بطون الكتب؛ هو ما قالته الفارعة[39] بنت طريف في رثاء أخيها الوليد الذي قتل في المعركة، فبكته أخته أحرَّ البكاء، وعددت نعوته الحميدة، فهو الشجاع الأبيُّ، والكريم السخي، والتقي العابد. وهي تخاطب شجر الخابور، وتعاتبه على عدم مشاركته بالحزن على أخيها، فتقول:

فيـا شـجر الخـابور مالـك مورقـاً كأنـك لـم تحـزن علـي ابـن طريـف
فتـى لا يلـوم السـيف حـين يهـزه إذا مـا اختـل مـن عـاتقٍ وصـليف
فتـى لا يحـب الـزار إلـى مـن التقـي ولا المـال إلا مـن قنـا وسـيوف
فقـدناه فقـدان الربيـع وليتنـا فـديناه مـن سـادتنا بـألوف
حديف الندى إن عاش يرضي به الندي وإن مـات لا يرضـي النـدي بحليـف
فـإن يـك أرراه يزيـد بـن مزيـد فيـأدُبَّ خيـلٍ فصـها وصـفوف[40]

وتمضي الفارعة في قصيدتها الحزينة الجزلة الباهرة مصورة صنوفاً من الحزن، مولده ألواناً من الجزع على الوليد وما أصابقومه فيه من رزء، فقد كان يشتمل لصفات من البطولة والحمد لإنكار تتجمع في أحد من قومه وتمضي الأبيات هكذا:

ألا بـالقومي للتوائـب والـردي ودهـر ملـح بـالكرام عنيـف
وللبـدر مـن بـين الكواكـب إذ هـوى وللشـمس همـت بعـده بكسـوف
ولـيس فـوق الـنفس إذ يحملونـه إلـى حفـرة ملحـودة وسـعوف

وتطرق الفارعة معاني كثيرة في رثاء أخيها وذكره والبكاء عليه وتوبخ قومه لعدم الثبات معه في الحرب فضيعوه وضيعوا أنفسهم، بل إنها توبخ السيوف التي أصابت جسمه، ولو قد علمت من تصيبه لبنت عنه وارتدت جيبة وخوفاً، وهو معني جميل وتعليل بارع جرى على لسان الشاعرة الفارسة:

ذكـــــرت الوليـــــد وأيامـــــه إذ الأرض مـــــن شخصـــــه بلقـــــع
فأقلبـــت أطلبـــه فـــي الســـماء كمـــا يبتغـــي أنفســـه الأجـــدع
أضـــــاعك قومـــــك فليطلبـــــوا إفـــــادة مثـــــل الـــــذي ضـــــيعوا
لـــو أن الســـيوف التـــي حـــدها يصـــيبك تعلـــم مـــا تصـــنع
نبـــت عنـــك إذ جعلـــت هيبـــة وخوفـــــاً لهولـــــك لا تقطـــــع

ومن الظواهر الجديرة بالتسجيل: رثاء الأزواج؛ لما فيه من صدق، وواقعية، وتتدفق في المشاعر، ولهفة من الزوجة الثكلي. ومن ذلك ما قالته لبانة ابنة علي بن المهدي حين قتل الخليفة الأمين، ولم يكن قد دخل بها:

أبكيـــك لا للنعـــيم والأنـــس بـــل للمعـــالي والـــرمح والتـــرس
أبكـــي علـــي ســـيدٍ فجعـــت بـــه أرملنـــي قبـــل ليلـــة العـــرس
يـــا مالكـــاً بـــالعراء مطرحـــاً خانتـــه أشـــراطه مـــع الحـــرس[41]

وحين مات الخليفة المأمون، اشتد حزن جارتيه (تتريف) عليه، وبكته بدموع غزيرة، وأقبلت ترثيه رثاء حاراً، وتفديه بنفسها، حتى وافاها الأجل ودموعها سخام على خديها. ومن ذلك قولها:

يـــــا ملكـــــاً بناســـــيه نعـــي إلـــى العـــيش ناعيـــه
والله مـــا كنـــت أرى أننـــي أقـــوم فـــي الباكيـــة أبكيـــه
والله لـــو يقبـــل فيـــه الفـــدى لكنـــت بالمهجـــة أفديـــه
عـــاذلتي فـــي جـــذعي أقصـــرى قـــد علـــق الـــرهن بـــا فيـــه[42]

وهذا حزن طبيعي من المرأة الجارية تجاه سيدها؛ الذي طالما أغدق عليها عطاياه، ورفع منزلتها، ورعاها في كنفه، فوجد مقابل ذلك رثاء حزين وفاءً للصلات الطبية.

كما استطاعت فضل أن تمزج البكاء حين رثت المعتز فقد رثُيت صبيحة قتلة تبكي وتقول:

إن الزمان بذحل كان يطلبنا ما كان أغفلنا عنه وأسهان
مالي وللدهر قد أصبحت همته مالي وللدهر ما للدهر لا كان

د- المديح:

لم تُعرف المرأة شاعرة احترفت فن المديح؛ إلا أن المقطعات التي وردت إلينا في ثنايا المصنفات؛ توحي بمشاركة المرأة في هذا الفن الشعري، ولا سيما فضل الشاعرة؛ التي كان "لها في الخلفاء والملوك المدائح الكثيرة".

إلا أن الباحث لا يجد في المصادر الأدبية والتاريخية شيئاً من شعر (فضل) في ميدان المدح، والسبب هو ضياع ذلك التراث في غياهب الزمن.

ويحدث التنوخي عن عاتكة المخزومية أم الحسن السلامي؛ أنها حضرت مجلس عضد الدولة ببغداد في عيد الفطر سنة (367هـ)، وأنشدت لنفسها قصيدة طويلة، ضمنتها أبياتاً مدحية، منها:

شتان بين مدبر ومدمر صيد الليوث حمائد الغزلان
روعته من بعد دهرٍ راغي وسقيته ما كان قبل سقاني
فلقد سهرت لياليا ولياليا حتى رأيتك يا هلال زماني[43]

ولعلية بنت المهدي شعر في مدح أخيها الرشيد، فهو الإمام ذو الرأي الصائب، والمرتجي لكشف الكروب والنوازل الشديدة، فقالت:

قل للإمام ابن الإمام مقال ذي النصح المصيب
لولا قدومك ما انجلي عنا الجليل من الخطوب[44]

أما الحجناء بنت نصيب الشاعرة المشهورة فقد دخلت على العباسية بنت المهدي، فأثنت عليها بأبيات شعرية جميلة، ومدحتها بصفات الخير، والحياء، والسخاء، وطلبت منها قضاء حوائجها؛ فقالت:

أتيناكِ يا عباسة الخير والحيا وقد عجفت أدم المهاري وكلت
وما تركت منا السنون بقية سوى رمة منا من الجهد رمت
فقال لنا من ينصح الرأى نفسه وقد ولَّت الأموال عنا فقلت
عليك ابنة المهدي عوذي ببابها فإن محل الخير في حيث حلَّتْ[45]

فأمرت لها بثلاثة آلالف درهم، وكسوة، وطيب.

وقد مدحت عنان الشاعرة جعفراً البرمكي، فوصفته بالبراعة، والقدرة على سياسة أمور الرعية بحنكة وعدل، علاوة على أنه واسع الصدر، حازم الرأي، قويُّه. قالت:

بديهته وفكرته سواء إذا التبست على الناس الأُمور
وصدر فيه للهم اتساع إذا ضاقت من الهم الصدور
واحزم ما يكون الدهر رأياً إذا عجز المشاور والمشير[46]

ولا ريب في إن مشاركة النساء في مجال المدح كانت مشاركة متواضعة؛ لم ترق إلى مستوى المدائح التي قالها الشعراء الرجال؛ التي غطت مساحة واسعة من الشعر العربي. وكانت المعاني تقليدية، ليس فيها جديد، فهي الصفات المحمودة القديمة نفسها، فقد نهلت في العصر العباسي من نبع الثقافة السائدة، والتزمت المعاني المستخدمة في الأغراض الشعرية.

هـ- الهجاء:

أُثر عن طائفة من الشاعرات في العصر العباسي أنهن نظمن شعراً في موضوع الهجاء؛ لأسباب مختلفة تستدعي التراشق بسهام التهاجي، وذكر المعايب.

ومن ذلك ما قالته عنان الشاعرة في هجاء الشاعر المشهور أبي نواس، فنظمت شعراً سهلاً، يقترب من الشعبية؛ لسهولته على اللسان، وقدرة الآخرين على حفظة وترديده كل آن، فقالت:

أبو نواس اليماني وامه جلبان
والنعل أوطن شيء إلى حروف المعاني[47]

وحاول أبو النواس أن يرد عليها، وكانت بينها محاورات شعرية طريفة نجدها في مقدمة ديوان أبي نواس[48].

وذات يومٍ تجشأ أبو النواس في وجه عنان، فهجته هجاءً مريراً، أثر فيه، وأزعجه، ونال منه، وكانت الصورة الشعرية جديدة؛ لأن معناها غير تقليدي، فهو هجاء بقبح رائحة الفم. قالت:

يا نواسي يا نفاية خلق الله قد نلت بي سماءً وفخراً
مت إذا شئت قد ذكرتك في الشعر وجرر أذيال ثوبك كبرا[49]

وقال أبو الفرج الأصبهاني: كانت لأم جعفر جارية يقال لها: طغيان، فوشت بعلية إلى رشأ، وحكت عنها ما لم تقل، فقالت علية:

لطغيان خف مذ ثلاثين حجة جديد فلا يبلى ولا يتخرق
وكيف بلا خفٍ هو الدهر كله على قدميها في الهواء معلق
فما خرقت خفاً ولم تبلي جورباً وأما سراويلاتها فتخرق[50]

وهذه أبيات يختلط فيها الهجاء بالفحش.

ومن الواضح أن هذا الهجاء صدر عن أسباب شخصية بحتة، فيها ظرف ومنافسة، والشعر المذكور في المصنفات يدل على تدهور الأخلاق وتدنيها، إذا

اتخذ الهجاء وسيلة للعبث والسخرية بالآخرين مما ينحدر بمستوى القائل درجات كثيرة، ويسمه باستخدام الألفاظ المستكرهه، والمعاني المبتذلة.

الفصل الثاني

ثانياً: أدب المرأة الناثرة في العصر العباسي

تمهيد:

كان العصر العباسي عصر ثقافة واسعة، وآداب منتشرة، شارك فيها الرجل والمرأة، وأثبتت الثانية أن لها دوراً تستحقه بجداره في مجال الكتابة النثرية. وسأتناول فيما يلي بعض الميادين النثرية التي برعت فيها المرأة في العصر العباسي.

أ- أداب المراسلات الشخصية:

كان للمرأة الكاتبة في عصر بني العباس مراسلات ومكاتبات فيما يتعلق بأمور حياتها الخاصة، والمواقف الاجتماعية، وهذا هو الغالب على هذا النوع من الكتابة؛ كالعتاب، والوصل، والحنين، والهجر، ونحو ذلك.

وقد نقل ابن المعتز بعض مراسلات (عريب) المغنية الشاعرة، فقال: (قرأت في مكاتبات لعريب فصلاً من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبر) في مكاتبة بديعة بعبارة: "قد استبطأت عيادتك – قدمت قبلك – .....استديم لله نعمة عندك"(51).

قال: وكتبت إليه أيضاً: "استوهب الله حياتك، قرأت رقعتك المسكينة؛ التي كلفتها مسألتك عن أحوالنا، ونحن نرجوا من الله أحسن عوائده عندنا، وندعوه ببقائك، ونسأله الإجابة، فلا تعود نفسك – جعلني الله فدائها – هذا الجفاء، والثقة مني بالاحتمال، وسرعة الرجوع"(52).

كذلك كانت (فضل) الشاعرة تكتب نثراً مرموقاً له قيمة فنية، يشبه طريقة الكاتب العباسي الترسل سعيد بن حميد؛ الذي قلده الخليفة المستعين ديوان رسائله، وقد قال بعد وفاة فضل: "ما رسائلي المدونة عند الناس إلا من إنشائها"(53).

وهذه شهادة من أديب كبير، تعيد الحق إلى نصابه، وترجع الأمور إلى أصولها وبقائها الحقيقيين.

وذات مرة كتبت إلى سعيد بن حميد تعاتبه: "فإن قطعت عنا عادة البر تمسكنا بعادتنا في الشكر، وحملنا الذين على الدهر، وإن تكن الأخرى فلم نعد الظن، ولم تأت بديعاً من الأمر"(54).

ومن الرسائل المتميزة ما كتبته إحدى الجواري إلى مولاها الخليفة المأمون، ووضعت مع رسالتها تفاحة توداً إليه، ومما قالته في تلك الرسالة: "فإذا وصلت إليك يا أمير المؤمنين؛ فتناولها بيمينك، واصرف إليها يقينك، وتأمل حسنها بطرفك، ولا تخدشها بظفرك، ولا تبعدها عن عينك، ولا تبذلها لخدمك. فإذا طال لبثها عندك، ومقامها بين يديك وخفت أن يرميها الدهر بسهمه، ويقصدها بصرفه، فيذهب بهجتها، ويحيل نضرتها، فكلها"(55).

وهذه الرسالة تتضمن محسنات أسلوبية بلاغية، كالسجع، الترادف، الاستعارة، علاوة على الأسلوب السهل الممتنع، وبذا يرتقي هذا النص إلى مستوى التأليف التعبيري، من خلال رسالة مصنوعة صناعة بديعة، تجلت في عذوبة الألفاظ ومتانة التراكيب، وترتيب الأفكار، وعمق دلالة المضمون.

ولو كانت رسائل النساء في ذلك العصر في مستوى رسالة التفاحة؛ لكنا وقفنا على فن نثري بديع ورقيق، فيه من المشاعر الإنسانية ما فيه.

ب- أدب التوقيعات:

كان للتوقيع معني خاص في عصر بني العباس، فهو الكلمة الوجيزة التي يوقع بها الخليفة أو وزيره – مثلاً – على حواشي ما يرفع إليه من قصص ومظالم ونحوها. ويغلب عليها الإيجاز، واجتماع المعانين وحسن الرونق، والسهولة، مع سمة البلاغة[56].

ولكن لم تقتصر التوقيعات على كبار رجال الدولة، بل كان للنساء نصيب منها، ولاسيما في مسائل المعاملات المالية، والعلاقات الاجتماعية؛ مما يدل على أن المرأة مشاركة في المجتمع العباسي، وإن كان الذي وصل إلينا من توقعات النساء قليلاً من حيث الكم.

هذا، وكان للخيزران – زوج الخليفة المهدي، وأم ولديه موسي الهادي وهارون الرشيد – توقيع بعد أن أرسل عمر بن مهران إليها – وكان كاتبها – رسالة يذكر فيها نفسه كثيراً، ويرفع من شأن ذاته، فأرسلت إليه توقيعاً مفاده: "وقد وصل كتابك تذكر وتذكر، ولا تستكثرن شيئاً يكون منك، واستدم أحسن ما أنت عليه يدم أحسن ما عندي لك. وأعلم أنه ما قدَّ شيء لم يزد إلا نقص، والنقصان يمحق الكثير كما ينمي على الزيادة القليل"[57].

وذكر أبو الفرج الأصبهاني أنه كان لعلية بنت المهدي وكيل يقال له سباع، وقعت على خيانته، فضربته وحسبته، فاجتمع جيرانه إليها، فعرفوها جميل مذهبه، وكثرة صدقه، وكتبوا بذلك رقعة، فوقعت عليها:

ألا بهذا الرجل الراكب العيس بلغن ... سباعاً وقل انضم داركم السفر
أتلبني مالي وإن جاء سائلٌ ... رققت له إن حطه نحوك الفقر
كشافية المرضي بعائدة الزنى ... تؤمل أجراً حيث ليس لها أجر[58]

وهناك توقيعات ليستشفي منها الباحث روح الكياسة و الذكاء والبراعة، من ذلك أن جارية مغنية تُدعى مصابيح، غاضبها في أحد الأيام عبد الله بن عباس – ولكن لهواها – ثم ترضاها، فقلبها الدلال، وأبت أن تصالحه فما كان منه إلا أن كتب إليها يتنصل من إغضابها، ويذكر أنه لم يرد إزعاجها، ثم دعا على من ظلم،

فردت عليه (مصابيح) بتوقيع متألق، إذ كتبتْ تحت عبارة الدعاء: "على الظالم آمين"[59].

وهذا التوقيع فيه الإيجاز، مع حسن الانتقاء، وبلوغ القصد؛ إذ حقق الغاية المطلوبة، مع اتسامه بخفة الظل، وكثرة الظرف.

وكان محمد بن الحسين بن جمهور العمِّى أديباً حسن الترسل، وكان له مع (زاد مهر) – جارية المنصور – أحاديث طريفة، ثم تأتي له أن اشتراها، وهجرته يوماً، فكتب إليها: "يا سيدة عبدها، والله إن الذي بلغك باطل، لكني اعترف به طاعةً لك". فوقعت على ظهر الرقعة: "مالك تغم نفسك، وتتنطع في كتب الأشعار؟! وجه إلى بالغلالة، وقد اصطلحنا!!"[60].

وبلغت بعض النساء بتوقيعاتها مبلغاً عظيماً في عالم الأدب، وتفوقت في هذا الميدان على كثير من الأدباء الرجال المعروفين بترسلهم.

ذكر لعمر بن مسعدة – كاتب المأمون – توقيعات جعفر بن يحيي البرمكي – وزير الرشيد العباسي – وهو موصوف بفصاحة المنطق، وبلاغة المنطق، وبلاغة القول، فقال: "قرأت لأم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها، فوجدتها أجودَ اختصاراً، وأجمع للمعاني"[61].

ولا مرية في أن التوقيعات النسائية تُعدُّ من الأدب النَّسوى العباسي المهم؛ فهي تشير إلى وجود أسلوب لغوي بارع في عالم القصور في العصر العباسي، ورعاية الحكام والمقربين منهم للغة العربية، والثقافة المعرفية سواء أكان ذلك يتعلق بالحرائر أم الجواري، فلم تكن المرأة بعيدة – ولاسيما في العصر العباسي الأول والثاني – عن الكتابة الفنية، وقوة التعبير، وسلاسة العبارة وجزالة التركيب.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فهذا بحث موجز تحدثت فيه عن أدب المرأة شاعرة وناثرة، حرة، وجارية، ومن خلاله وقفت على مجموعة من النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث نعرضها في السطور التالية:

(1) أن ما وصل إلينا من أدب المرأة قليل جداً بالنسبة إلى أدب الرجال ويمكن إجمال السبب في ذلك في:

(أ) النظرة غير الصائبة إلى المرأة بصورة عامة، وهذا ينعكس على ما تنتجه العقول من أدب يصفه الواصفون بالضعف من ذلك ما قاله التنوخي معلقا على جملة أبيات قالتها الشاعرة (عايدة بنت الجهينة) حين هجت أبا جعفر محمداً بن القاسم التنوخي تعيبه بقصر قامته وهزال جسمه: "فهجته هذه المرأة بما تحقق عندي أنها صادقة فيه؛ لأنه يليق بكلام النساء، وقد كانت تنشدني أفحل من هذا الكلام[62]"

(ب) الصفة الغالبة على شعر النساء هو نظم النوع الخفيف أي: المقطعات الشعرية السهلة الحفظ، والتناقل في المجالس وبين الناس.

(ج)أن أكثر الكتب التي تحدثت عن النساء اهتمت بأحوالهن الاجتماعية ومحاسنهن، ولم تهتم بالجانب الأدبي ككتب (الفهرست) [63] للندهي، (معجم الأدباء) [64] لياقوت الحموي حتى ما أوردوه لا يرتقي إلى مستوى الرواية الشعرية.

(2) شاركت المرأة الرجل في الموضوعات الشعرية المعروفة آنذاك وذلك بإتباع نظام المقطعات التي تعتمد على رشاقة الآراء وخفة الوزن؛ تأكيداً على أن المرأة تختلف عن الرجل في قول الشعر. فكان مشاركتها الشعرية تتميما لجملة المحاسن التي تتمتع بها من الظرف، والدعة، والفطنة، والكياسة.

(3) الأغراض الشعرية كانت تقليدية لا جديد فيها وأفكارها العامة لا تختلف عما كان الرجل يهتم به من بوح شعري.

(4) جاءت أغراض الشعر معبرة عما يشيع في المجتمع من معاملات وأخلاق؛ فالهجاء اهتم بذكر العيوب الخِلْقِية والخلُقُية وتجريد المهجو من صفاته الحسنة، وإلصاق الصفات المرذولة به وفي الغزل تعبير عن حال الظلم الاجتماعي الذي عاشته المرأة في ذلك الحين فلم تستطع أنْ تحقق مبتغاها؛ فعاشت في حزن دفين، وبوح داخلي ملئ بالحسرات.

(5) استخدمت المرأة في أشعارها الألفاظ السهلة والتعابير الرقيقة التي تكاد تقترب من الحديث اليومي، مع الحرص على البراعة، وحسن الأسلوب، والانفعال الشعوري وكان نثر المرأة ومضات فنية جديرة بالتأمل، فقد ظهر النفقة في الرسائل والمكاتبات التي اتصفت باستخدام الجمل القصيرة كما كان للمرأة في العصر العباسي توقيعات تستحق الاهتمام لأنها ذات قيمة فنية في ميدان الأدب، فقد اتصفت بالإيجاز، وقوة الأداء، ودقة اللفظ، ومتانة السبك.

وأخيراً فإن المرأة عموما لم تكن أداة للهو والعبث والتهتك فهذه الصورة تختص بطائفة الجواري والمغنيات مع أن بعضهن كانت لهن السيطرة على قلوب الأحرار؛ بل على السياسة العامة للدولة آنذاك.

هوامش الدراسة

[1] الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني – دار إحياء التراث العربي بيروت – مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ج10 ص 163.

[2] الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج1 ص165.

[3]وفيات الأعيان 6 ص31

[4]الأغاني ج10 ص91

[5]سمط اللالئ ص500.

[6]الأغاني 268/11، 269 دار الكتب

[7]المصدر السابق ص34

[8]العقد الفريد 60/6

[9]الورقة ص42

[10]الورقة ص41.

[11]طبعات الشعراء 426.

[12]الأغاني 176/18-178

[13]المصدر 178

[14]المصدر السابق ص189

[15]طبقات الشعراء 426

[16]طبقات الشعراء ص246

[17]طبقات الشعراء ص 422، 423

[18]سبق التعريف بها في الباب الأول

[19]زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري، تحقيق على محمد بجاوي دار إحياء الكتاب العربي – مصر 1970، ص10

[20]المحاسن والأضداد، الجاحظ، مطبعة الساحل الجنوبي – لبنان منشورات مكتبة العرفان بيروت ص230

[21]أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق، الصولي، نشره ح.هيورث 1936م ص71، والشعر والشعراء في العصر العباسي تأليف د/مصطفي الشكعة – دار العلم للملايين 1986م ص455.

[22]أشعار أولاد الخلفاء "مرجع سابق" ص:65

[23]المصدر السابق ص68، والشعر والشعراء في العصر العباسي ص455

[24]أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق، الصولي، نشره ج هيورث 1936م ص: 71

[25]المصدر السابق ص79

[26]الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني مرجع سابق ج10 ص174

[27]الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ج10 ص176.

[28]هي خديجة بنت أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد

[29]نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي تحقيق صلاح الدين المنجد دار الكشوفي – بيروت ط1 سنة 1958، ص54.

[30]المستطرف من اخبار الجواري، السيوطي تحقيق صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديد – بيروت، ط1 ص39 سنة 1963

[31]هي السيدة رابعة العدوية البصرية جنب إسماعيل، مولاة آل عتيك من بني عدوة، نشأت بين أبوين فقيرين صالحين بالبصرة وسميت رابعة لأنها جاءت بعد ثلاث بنات، وكانت رائعة الجمال فائقة الحسن

[32]شهيدة العشق الإلهي عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1948م ص73

[33]شاعرات العرب جمع وتحقيق عبد البديع صقر – المكتب الإسلامي، بيروت ط1 1967، ص125.

[34]عقلاء المجانين، للحسن النيسابوري، تقديم محمد بحر العلوم المطبعة الحيدرية، النجف ط2، 1968، ص147.

[35]المصدر السابق ص147.

[36]المرجع السابق، ص151.

(37)نساء الخلفاء الساعي الخازن البغدادي تحقيق مصطفي جواد، دار المعارف، مصر، ص127.

(38)مروج الذهب، المسعودي، مطبعة السعادة مصر 1958 ح3، ص323

(39)سبق التعريف بها في الباب الأول.

(40)شاعرات العرب ص: 374-376

(41)مروج الذهب المسعودي ج3 ص323، تاريخ الأمم والملوك للطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار سويدان بيروت ج8، ص501.

(42)المستظرف من أخبار الجواري للسيوطي، ص18.

(43)نشوار المحاضرة التنوخي ج5، ص267.

(44)أشعار أولاد الخلفاء الصولي ص: 72

(45)الأغاني أبو الفرج الأصبهاني 16/23

(46)الوزراء والكتاب الجهشياري تحقيق مصطفي السقا ورفيقيه مطبعة مصطفي البابي الحلبي مصر ، ط1، 1938، ص504-505 والأبيات تنسب لأشجع السلمي، وسلم الخاسر، وعلي بن الجهم.

(47)المستظرف في أخبار الجواري، السيوطي، ص42، والمشهور أنهما لأبان اللاحقي مع الاختلاف في الرواية.

(48)أبو النواس ديوانه – طبعة المكتبة العمرية القاهرة 1998م

(49)المصدر السابق، ص40-41

(50)الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، ج10، ص167.

(51)الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، 22/172-173.

(52)المصدر السابق، 173/22.

(53)طبقات الشعراء ابن المعتز، ص426.

(54)المستظرف من اخبار الجواري السيوطي ص54

(55)العقد الفريد لابن عبد ربه اعتني به أحمد أمين ورفقاه مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ج1 3 1965 ج6 ص288

(56)العقد الفريد، ابن عبد ربه، اعتني به أحمد أمين ورفيقاه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ط3، 1965م، 288/6 وموسوعة عصر السلاطين المماليك الدكتور محمود رزق سليم مكتبة الآداب بالجمامير 1955/5/138-139

(57)الوزراء والكتاب الجشياري ص221

(58)الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني ج183/10.

(59)الديارات الشابشي. تحقيق كورين عواد – دار الرائد العربي بيروت ط3 1986 ص67.

(60)المصدر السابق ص269.

(61)صبح الأعشى في صناعة الإنشا القلقشندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصرة، 198 64/1.

(62)نشوار المحاضرة التنوخي تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت 1972 224-223/2.

(63)ينظر كتاب الفهرست للنديم حققه رضا تجدد دون ذكر اسم دار النشر.

(64)معجم الأدباء ياقوت الحموي دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المصادر والمراجع

1- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق، الصولي، نشره ج.هيورث 1936م.

2- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني – دار إحياء التراث بيروت مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية دون تاريخ.

3- تـاريخ الأمـم والملـوك، الطبـري، تحقيـق محمـد أبـو الفضـل إبـراهيم، دار سويدان. بيروت دون تاريخ.

4- الـديارات الشبابشـتي تحقيـق كـوركيس عـواد، دار الرائـد العربـي بيـروت ط3 1986.

5- ديوان أبي نواس، طبعة المكتبة العمومية القاهرة.

6- زهـر الآداب وثمـر الألبـاب، الحصـري، تحقيـق علـي محمـد البجـاوي دار إحياء الكتب العربية مصر، 1970م.

7- شاعرات العرب جمع وتحقيق عبد البديع صقر، المكتب الإسلامي بيروت ط1 تاريخ 1948م.

8- شهيدة العشق الإلهي، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1948م.

9- صبح الأعشي في صناعة الإنشا القلقشندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر 1985م.

10-طبقات الشعراء ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف القاهرة، 1977.

11-العقد الفريد، ابن عبد ربه اعتني به أحمد أمين ورفيقاه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط3 1965.

12-عقـلاء المجـانين للحسـن بـن محمـد النيسـابوري تقـديم محمـد بحرالعلـوم، المطبعة الحيدرية، النجف ط2 1968م.

13-الفهرست، النديم حققه رضا تجدد دون ذكر اسم الدار الناشرة 1973م.

14-المحاسن والأضداد، الجاحظ، مطبعة الساحل الجنوبي لبنان، منشورات مكتبة العرفان بيروت دون تاريخ.

15-مروج الذهب، المسعودي، مطبعة السعادة، مصر 1958.

16-المستظرف من أخبار الجواري، السيوطي تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1 1963م.

17-معجم الأدباء ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي دون تاريخ.

18-موسوعة عصر سلاطين المماليك الدكتور محمد رزق سليم مكتبة الآداب بالجماميز، 1955.

19-نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي تحقيق صلاح الدين المنجد، دار المكشوف، بيروت، ط1 1958

20-نساء الخلفاء، الساعي الخازن البغدادي، تحقيق مصطفي جواد، دار المعارف مصر.

21-نشوار المحاضرة، التنوخي، تحقيق عبود الشالجي دار صادر بيروت 1972.

22-الوزراء والكتاب الجهشياري، تحقيق مصطفي السقا ورفيقيه، مطبعة البابي الحلبي، مصر ط1 1938م.